مقومات الحفاظ
على الهوية الثقافية الاسلامية

الأستاذ المساعد الدكتور
بتول حسين علوان
جامعة بغداد ـ كلية العلوم السياسية

مقومات الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية

الأستاذ المساعد الدكتور
بتول حسين علوان
جامعة بغداد ـ كلية العلوم السياسية

المقدمة:ـ

تواجه الامة الاسلامية تحديات كبيرة في ظل محاولات بعض القوى الدولية الهمينة الثقافية، عبر مشاريع العولمة ونهاية التاريخ، وصدام الحضارات والمركزية الاوربية ونظرية التبعية، وكلها تهدف الى مسخ عناصر القوة في وجود الامة ومنها هويتها الثقافية، مستثمرة كل ادوات العلم والتأثير، ومسخرة كل مفردات القوة لديها فكرا ووسائل.

ومن هنا فان الحفاظ على الهوية الاسلامية يمثل الهدف المقدس لنا في هذه المرحلة دون ان يعني ذلك الانغلاق على الثقافات الاخرى، بل الانفتاح (التعارف)، من اجل التأثيروالتأثر، بما نمتلك من مقومات القوة في ثقافتنا لاسيما بعدها الالهي المنفتح على الانسانية عبر مفاهيم العدل والاحسان والتعارف والتدافع.

ومن هنا فان مفردة الغزو الثقافي اصبحت متداولة في الوسط الثقافي والفكري الاسلامي، حتى انها شحذت همم الباحثين في كيفية تحليلها والتعاطي مع افرازاتها وآثارها لاسيما في بعدها القيمي.

واذا كان الامر بهذه الخطورة فان امكانية محاصرته في ظل التراجع الفكري والتكنلوجي يعد امراً صعباً، وان سعي الامة منصب حاليا على تطويق اثاره، ولذا فان البحث يعالج هذه الظاهرة الفكرية والثقافية من حيث المفهوم والدلالة والآليات المستخدمة، من زاوية المستهدِف، وآليات التصدي من زاوية

المستهدَف عبر مبحثين الاول يركز على مفهوم الغزو الثقافي وآلياته المادية والمعنوية.

والمبحث الثاني يركز على الهوية لانها عنوان الخصوصية، وعوامل ضعفها السياسية والثقافية والفكرية، وامكانية تحصين الامة من محاولات اختراق هويتها وتعزيز عناصر القوة، والاجتهاد للتخلص من نقاط الضعف التي تختزنها لاسيما في طريقة الانفتاح على الماضي بين التقديس والتحجير.

المبحث الاول

في معنى الغزو الثقافي وآلياته

واجه العالم الاسلامي وما زال يواجه تحديات كبيرةفي مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لا سيما تلك التحديات التي تمس هويته الثقافية والحضارية وتحاول استلاب هذه الهوية الثقافية وجعلها تابعا للثقافة الغربية.

وسنلقي الضوء في هذا المبحث على مفهوم الغزو والاختراق الثقافي الذي تعرضت له الكثير من دول العالم ومنها عالمنا الاسلامي، فضلا عن الآليات المتبعة في تحقيق اهداف هذا الغزو والاختراق.

أولاً: مفهوم الغزو الثقافي والمفاهيم المقاربة له:

اختلفت مواقف المفكرين الاسلاميين المعاصرين من مسألة الغزو الثقافي الذي تواجهه الامة الاسلامية، بين منكر لهذا الغزو وبين مقر ومعترف به، وحاول القسم المعترِف بهذا الغزو ان يقدم تعريفات وتوصيفات لهذه العملية ومن بين هذه التعاريفأنه "غزو غير مسلح للافكار والعقول لتحقيق هدف عام هو اضعاف الإسلام والمسلمين"[1].

ويرى (الخامنئي) ان الغزو الثقافي هو "أن تشن قوة سياسية أو اقتصادية حرباً على المبادىء الثقافية لشعب من الشعوب، لتنفيذ أهدافها الخاصة والتحكم بمصير ذلك الشعب. أنهم يفرضون بالقوة عقائد جديدة على تلك الدولة وعلى شعبها من أجل ترسيخها بدلاً من ثقافة ومعتقدات ذلك الشعب"(٢).

ويذهب (الغزالي) الى القول بأن الغزو الثقافي الذي يجتاح الامة الاسلامية صنو للغزو العسكري، واثر لابد منه للهزائم التي اصابت العالم الاسلامي والحقت به خسائر فادحة مادية ومعنوية(٣).

ويعرفه آخرون على انه "العمل الهادف إلى اختراق ثقافة أمة (من الأمم) وزعزتها لتذويب هويتها وطمسها وسلبها مكوناتها"(٤).

وتعرفه احدى الباحثات بالقول "أنه زعزعة عقيدة الأمة وثوابتها وقيمها والتشكيك في احوالها من قبل اعداء الامة"(٥).

وبهذا المعنى فإن الغزو الثقافي عمل مقصود ومخطط له، اذ أنه يرمي إلى غزو الإنسان في عقيدته، وفي لغته، وفي سلوكه وأخلاقياته ونمط معيشته، من خلال إحلال نماذج معينة من التفكير والنظر إلى الحياة والسلوك، محل النمط السائد النابع من روح الشعب المستهدف.

وهناك من المفكرين والباحثين❖ من يستخدم مصطلح الغزو الفكري للاشارة الى نفس العملية التي يراد بها سيطرة الثقافة والفكر الغربي على الثقافة والفكر الاسلامي، ويشير احد الباحثين الى هذا المصطلح بالقول ان الغزو الفكري هو"اغارة الاعداء على امة من الامم باسلحة معينة واساليب مختلفة لتدمير قواها الداخلية وعزائمها ومقوماتها وانتهاب كل ما تملك"(٦).

ويعتقد احد الباحثين ان الغزو الفكري اشد خطرا من الغزو العسكري لأن

الامة المهزومة فكريا تسير الى غازيها بصورة طوعية وعن اقتناع ولا تحاول التمرد والسيطرة على القوة الغازية لها[٧].

وما يمكن ملاحظته في هذا الصدد ان مصطلح الغزو الثقافي اوسع من مصطلح الغزو الفكري، اذ يمكن القول ان بينهما علاقة عموم بخصوص، فالثقافة تتضمن في احد جوانبها الفكر الذي تحمله الامة فضلا عن ادابها وفنونها وعاداتها وقيمها وتقاليدها.

وبعد التطور التقني الكبير الذي شهدته وسائل الاتصالات وسهولة وسرعة انتقال المعلومات فيما يعرف بالثورة المعلوماتية، بدأ الحديث عن مصطلح الاختراق الثقافي كبديل عن مصطلح الغزو الثقافي، وهو يعبر عن مجموعة من الانشطة الثقافية والاعلامية والفكرية التي توجهها جهة اوعدة جهات نحو مجتمعات وشعوب معينة، بهدف تكوين انساق من الاتجاهات السلوكية والقيمية وانماط واساليب من التفكير والرؤى والميول لدى تلك المجتمعات والشعوب، بما يخدم مصالح وأهداف تلك الجهة أو الجهات التي تمارس عملية الاختراق الثقافي[٨].

وتذهب احدى الباحثات الى القول بأن الصراع في الماضي القريب كان صراعا ايديولوجيا يتعلق بتأويل الحاضر وتفسير الماضي واستشراف المستقبل، اما الاختراق الثقافي فإنه يستهدف الاداة التي يتم بها التأويل، اذ يستهدف العقل والنفس والادراك، فثقافة الاختراق هدفها التطبيع مع الهيمنة وتكريس الاستتباع الحضاري، ويمكن استجلاء تأثير الاختراق الثقافي في افراغ الهوية الجماعية من كل محتوى ودفعه للتشتيت والتفتيت لانه يحاول ان يربط الناس بعالم لا وطن له ولا امة ولا دولة[٩].

فالاختراق الثقافي اكثر خطراً من الغزو الثقافي لانه يستطيع بامكاناته الهائلة الاقتصادية والاعلامية والتكنلوجية من الوصول الى اي مكان وفي اي زمان

مما يعني صعوبة مواجهته من قبل الامة التي تتعرض له اذا لم تكن مسلحة بما يكفي من الامكانات الثقافية والاقتصادية والتكنلوجية، وهذا يوضح خطر هذه العملية على الأمة الإسلامية التي تفتقد الى الكثير من هذه الجوانب مما يجعل مسألة مواجهتها ليس بالمسألة اليسيرة، وانما تتطلب تكثيف كل الجهود وعلى كل المستويات من اجل الوقوف بوجهها.

وينبغي التمييز ما بين مصطلحي الغزو والاختراق الثقافي وبين التبادل الثقافي ومصطلح المثاقفة، فالتبادل الثقافي ينطوي على التكافؤ والندية بين الجانبين المتبادلين والمتفاعلين ثقافيا على العكس من الغزو والاختراق الذي ينطوي على تفوق احدى الثقافتين على الاخرى المنفعلة بها، فالثقافة الغازية قوية وتحمل عوامل التفوق بينما الاخرى ضعيفة ومتلقية، فضلا عن ان التبادل والتفاعل الحضاري يتم بصورة طوعية واختيارية بينما الغزو والاختراق الثقافي يتم فرضه بالقوة، كما ان التبادل الثقافي مبادرة تنطلق من جانبنا، أما الغزو فهو مبادرة يمسك العدو بزمامها ويمارس عبرها الهجوم ضدّنا، لكي يستأصل ثقافتنا الذاتية. لذلك يعد التبادل الثقافي إيجابياً، أما الغزو فهو ممارسة سلبية تفترض من الامة المتعرضة لها مواجهتها بكافة الوسائل من اجل المحافظة على ثقافتها[١٠]، فالتبادل الثقافي يفسح المجال للاختيار بوعي من بين الثقافات الانسانية الاخرى ويسمح بانتقال الثقافات بين الامم عبر الوسائل المشروعة، وما يميز التبادل والتفاعل الحضاري ايضا عن الغزو والاختراق ان الاول يقوم على اساس مخاطبة العقل والحوار البناء والنقد، اما الغزو فإنه يحاول الغاء العقل والفرض بالقوة.

أما المثاقفة فهي من المفردات التي تعبر عن أوجه التبادل الثقافي (الأخذ والعطاء) بين الحضارات البشرية المتعددة، وهي بهذا المعنى تعد رافداً مهماً تسعى كل أمةٍ من خلالها إلى معرفة الآخر واستثمار مالديه من قيم ومعطيات

إنسانية وحضارية، وإلى تنمية كيانها الثقافي بشكل خلاق وغير مضر بمقومات الهوية وثوابتها، فمفهوم المثاقفة يصلح أن يكون بديلاً عن مفهوم الغزو الثقافي الذي يتضمن في طياته الرغبة في محو الهوية وإلحاقه بالآخر وفرض التبعية عليه، ومعاملته بنظرة فوقية.

هكذا تمثل المثاقفة في الفكر العربي المعاصر؛ حالةٌ من الاعتدال بين الذوبان والتصلب في التعاطي مع ثقافة الآخر.

أما مفهومها في الفكر الغربي فهو يختلف تماما عما هو مطروح في محيطنا الثقافي، إذ تطرح المثاقفة على أنها علاقة بين ثقافة متفوقة وثقافة متخلفة، أن المثاقفة التي تعني عندنا الحوار الثقافي والتبادل الثقافي؛ هي في الحقيقة تعني القضاء على الثقافات المحلية من أجل انتشار الثقافة الغربية خارج حدودها، وهيمنتها على غيرها، واعتبار الغرب النمط الأوحد لكل تقدم حضاري، وعلى كل الشعوب تقليده، والسير على منواله، واحتكار الغرب وحده حق إبداع التجارب الجديدة والأنماط الأخرى للتقدم[١١].

ومما يجدر ذكره في هذا المجال ان الغزو الثقافي لا يتمثل بصورة كبيرة بالثقافة الغربية التي تمثلها النخبة من رموز الفلسفة والادب والفكر الغربي وانما تتجلى في ثقافة الاستهلاك والانحدار والانحلال والتغرّب.

ثانياً: آليات الغزو الثقافي:

تعود بدايات الغزو الثقافي للعالم الاسلامي الى المدة التي تلت انتهاء الحروب الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي، اذ اعادت اوربا النظر في الوسائل التي تتمكن من خلالها السيطرة على العالم الاسلامي بعد فشل حملاتها العسكرية، وكان من اهم الوسائل التي نجح الغرب في توظيفها من اجل انجاح هذا الهدف وسيلتي الاستشراق والتبشير، اذ قدِم الغربيون الى

العالم الإسلامي تحت اقنعة تقديم الخدمات الانسانية وتأسيس المدارس ودراسة التاريخ الاسلامي والاهتمام بالدراسات الشرقية وغيرها من الحجج من اجل تنفيذ المخطط الغربي في السيطرة.

وقد كان الهدف من ذلك كله تقويض صرح الفكر الإسلامي والاسس الحضارية والفكرية للعالم الإسلامي. ويذهب احد الباحثين الى القول بأن الخسائر التي لحقت بالإسلام والمسلمين على يد معولي التبشير والاستشراق لا يمكن أن تضاهيها كل تلك الخسائر التي لحقت بهما جراء الحروب الصليبية المسلحة(١٢).

لقد كان الاستشراق والتبشير الوسيلتين الرئيستين في مؤامرة الغزو الفكري والحضاري التي لازالت مستمرة حتّى هذا اليوم، بهدف إفراغ الفكر الإسلامي من محتواه، وتحويله إلى كيان عقيم لا حياة فيه. كما أنهما مهّدا الطريق لظهور الاستعمار بنوعيه الجديد والقديم.

ومن الوسائل والآليات الاخرى التي اعتمدها الغربفي نشر ثقافته:(١٣)

١- انشاء المدارس الأجنبية وحث الدولة المستهدفة على الاهتمام بهذا النوع من المدارس واهمال المدارس الوطنية التي تقوم بتثبيت هوية الامة.

٢- تقديم المساعدات والبعثات الثقافية من قبل الغرب لطلاب العالم الإسلامي.

٣- تشجيع طلبة العالم الإسلامي الذين يدرسون في الغرب على القيأم بأبحاث عن العالم الإسلامي لصالح الغرب.

٤- قيام الغرب بإنتاج وسائل الثقافة المختلفة من كتب ونشرات وأفلام، وإقامة المحاضرات والمؤتمرات والندوات وخلاف ذلك، التي تستهدف التأثير على افكار ومعتقدات الامم الاخرى وتقديم الثقافة الغربية على

انها هي النموذج المثالي الذي يؤدي الى التقدم والتطور اذا ما تم اتباعه من قبل الآخرين.

٥- قيام الغرب بتشجيع هجرة الادمغة والعقول إلى الغرب، وتقديم كل المغريات لاجتذابهم من اجل افراغ العالم الاسلامي من الكفاءات التي تتمكن من الارتقاء بالواقع العلمي والثقافي المتخلف.

٦- التعويل والاعتماد على المتغربين ودعاة الحداثة ووضعهم ضمن فقرات خطة الغرب الرامية إلى غزو الفكر الإسلامي لما يمتلكونه من إمكانية لتحقيق ما يصبو إليه، أهمها أنهم جزء من المجتمع الإسلامي ومحسوبين عليه ولهذا نشاهد أن الاستعمار الغربي قد وضع البرامج الدقيقة لتخريج هؤلاء المتغربين وصياغة نمط تفكيرهم وسلوكهم وفق ما يريد وضمن الأسلوب الذي يوصله إلى تحقيق أهدافه لأنه كان يفرغهم من مضمونهم الثقافي الخاص، ثم يعيدهم إلى بلادهم ليكونوا صدى للثقافة الغربية.

٧- اعتمد الأسلوب الاستعماري اليوم في غزوه الثقافي على آلاف الأقمار الصناعية التي طوقت العالم الإسلامي وجعلته تحت هيمنة الغرب، ففضلاً عن نهوضها بمهام التوجيه والإعلام طبقاً لخطط وبرامج كومبيوترية دقيقة، نراها أيضاً تبث وعبر عشرات القنوات التلفزيونية حشداً من البرامج والأفلام التي تصب آخر المطاف في الهدف الغربي الرامي إلى مسخ الهوية الإسلاميّة وحتى البرامج التلفزيونية التي تبثها تلفزيونات البلدان الإسلاميّة إنّما هي استنساخ لما يعرض في قنوات التلفزيون الغربي من أفلام بعيدة كل البعد عن ثقافتنا وعقيدتنا.. بل إن الغرب يسعى من خلال إهداء أفلامه وبرامجه أو بيعها بسعر بخس إلى مهاجمة ثقافتنا الإسلاميّة وزرع ثقافته بدلاً منها، ليشتري في الدرجة

الأولى أطفالنا الذين يقضون الساعات الطوال أمام تلك الأفلام والبرامج البعيدة عن الثقافة الاسلامية، مما يؤدي الى بناء جيل متأثر الى حد بعيد بالثقافة الغربية[١٤].

٨- محاولة التأثير على التماسك الاسري الذي هو عماد بناء المجتمع الاسلامي بنشر العادات والتقاليد السائدة في المجتمعات الغربية من ملبس ومأكل، ومن هنا سيتمكن الغرب من نشر ثقافته، اذ ادرك الغرب العلاقة بين المظهر الخارجي والسلوكي وما يحمله من نظام قيمي، فبدأ مخطط الاجتياح الثقافي وتغيير العادات والتقاليد السائدة عن طريق زج كل الامكانيات المادية والاعلامية والتكنلوجية والفكرية كالدعوة الى التجديد والتحديث ومواكبة العصر وغيرها[١٥].

٩- تنْحية الإصلاحيّين والإسلاميّين عن مراكز السَّيطرة والسلطة في أغلب المجالات غير الدينيَّة، ومحاولة تقْليص دور المؤسَّسة الدينيَّة؛ حتَّى لا يكون لها دورٌ في صُنع القرار، ولا يكون لها دور في حياة الناس، وباضعاف هذه المؤسسة سيتمكن الغرب من فرض ما يريد على الامة الاسلامية، اذ تلعب هذه المؤسسة دورا كبيرا في توعية الامة وتحذيرها من المخاطر التي تواجهها جراء انسياقها وراء المخططات الغربية.

١٠- استغلال الحَرَكات الخارِجة عن نظام المجتمع العامّ من الحركات السياسيَّة، والأقلّيَّات غير المسلمة المتطلّعة، ودعمها سياسيًّا واقتصاديًّا، من اجل أحداث حالة من حالات عدم الاتّزان، وتشتيت الجهود، والذي يشكِّل بيئة خصبة لنمُوّ النشاط التخريبي للغزو الفكري[١٦].

المبحث الثاني

الهوية الثقافية الإسلامية ومقومات الحفاظ عليها

تعد الهوية الثقافية المشتركة العامل الأساسي في تكوين شخصية الأمم والشعوب، وهي حصيلة الاشتراك في عدة أمور أهمها الدين واللغة والتاريخ المشترك والعادات والتقاليد، وهي التي تعبر عن روح الأمة وتميزهاعن غيرها من الامم.

وقد واجهت الهوية الثقافية الإسلامية مخاطر كبيرة نتيجة للغزو الثقافي الذي يواجهه العالم، وخاصة العالم الاسلامي، المتمثل بظاهرة العولمة ذات الجوانب المتعددة والشاملة، ويعد الجانب الثقافي منها اخطرها على هوية وشخصية الأمم التي تتعرض لغزو هذه الظاهرة من قبل الغرب والمتمثل بصورة خاصة بعولمة النموذج الأمريكي في كل المجالات.

وتعرف الهوية بأنها الامتياز عن الغير، والمطابقة للنفس، أي خصوصية الذات، وما يُميز الفرد أو المجتمع عن الأغيار من خصائص ومميزات ومن قيم ومقومات،فالهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت، والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والامم(١٧).

ويمكن تعريف الهوية ايضاً بأنها مجموعة الخصائص المختلفة النفسية والجسدية والمعرفية التي تميز ذاتاً محددة عن أخرى. ومن الواضح أن الهوية مركب بالغ التعقيد ينمو مع تعزيز ثقافة الأفراد وتوسيع آفاقهم التاريخية والفكرية والثقافية والإنسانية التي تعزز وعيهم بأمتهم وانتمائهم إليها(١٨)، وهذا الانتماء هو الذي يعطي للهوية معنى التمايز الذي تقوم على أساسه تفاعلات ثقافية أساسية على غرار فكرة التبادل الثقافي التي لا يمكن لها أن تتم

دون وجود خصوصيات ثقافية متعلقة بجماعة معينة أو مجتمع محدد.

أما الثقافة فتعبر عن مضمون شديد التركيب والتعقيد والتنوع والعمق والاتساع، لأنها تعبر عن مجموع القيم والقواعد والأعراف والتقاليد والخطط التي تبدع وتنظم الدلالات العقلية والروحية والحسية، وتعمل على الحفاظ على توازن النسق الاجتماعي واستقراره ووحدته وتوحيد الأنساق الفرعية للنسق الاجتماعي عن طريق توحيد الأنماط العقلية التي تحكمها، فالثقافة تغذي الأنساق الفرعية للنسق الاجتماعي بقيم مماثلة فتخلق نسيجاً اجتماعياً واحداً قادراً على إعادة إنتاج نفسه[١٩].

ويمكن التمييز ما بين الحضارة والثقافة بالقول أن الثقافة تركز على الجوانب النظرية والفكرية والمعرفية والفنية والجمالية، أي على النواحي المعنوية من الحضارة، أما الحضارة فهي اوسع من الثقافة إذ أنها فضلاً عما ذكر في الجانب الثقافي فهي تضم كل ما توصلت إليه الأمة في الجوانب المادية أيضاً.

إن الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن يُنظر إليها اليوم على أنها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات.

ومن اهم الاسس التي تقوم عليها الخصوصية الثقافية للامة الاسلامية:

١- المعتقد الذي تتولد منه قيم توجه السلوك وتصوغ النظرة إلى الكون والحياة والانسان، وتحكم علاقة الإنسان بالمجتمع البشري وبالطبيعة وبالكون كله.

٢- اللغة التي يتكلمها المجتمع ويتفاعل مع نفسه من خلالها بكل ما تختزنه من خبرة تاريخية متراكمة مع الطبيعة ومع الذات، وبما تختزنه من

مستويات معرفية وحضارية مرتبها الامة.

إن الخطر الأكبر الذي يهدد الأمم والشعوب في هذا العصر، هو الخطر الذي يمس الهوية الثقافية والذاتية والحضارية للمجتمعات الانسانية، والذي قد يؤدي إلى ذوبان الخصوصيات الثقافية التي تميز أمة عن غيرها، وقد اصبحت هذه التهديدات أكثر خطورة بعد المتغيرات التي حصلت في النظام العالمي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وهيمنة الولايات المتحدة بعدِها قطباً اوحداً في العالم ومحاولتها فرض نموذجها الثقافي والحضاري عن طريق العولمة بكل جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية التي تعد الاخطر على هويات الأمم المغلوبة، ومما يجدر ذكره في هذا المجال أن هذا الخطر الذي تمثله العولمة الثقافية في محاولتها فرض النموذج الأمريكي تحديداً لم تعانِ منه دول العالم النامي ومن ضمنه العالم الإسلامي فقط، وإنما حتى بعض الدول المتقدمة والاوربية تحديداً ومنها فرنسا وبريطانيا قد احست بمداهمة هذا الخطر وخشيت على هويتها الثقافية من الذوبان في موجة العولمة الامريكية، وهذا ما تؤكده الكثير من الكتابات والاحصائيات التي ظهرت في هذه الدول.

فإذا كان حال الدول المتقدمة بهذا الشكل، فمن باب أولى أن نخشى على هويتنا الثقافية الإسلامية ونحن نعاني ما نعاني من تخلف وضعف وتشتت ودعوات إلى الأخذ بالنموذج الغربي في التحديث والتقدم وغيرها من الدعوات التي تنكر محاولة الآخرين فرضن موذجهم بالقوة.

إذ تحاول العولمة إيجاد عالم واحد تسوده ثقافة واحدة تحمل مفاهيم وقيم واحدة من شأنها القضاء على مشكلة التمايزات الثقافية والحضارية بين الأمم المختلفة، فالقول بسيادة ثقافة واحدة من خلال ثورة الاتصالات لن يعني سوى سيادة وهيمنة الثقافة والقيم الأمريكية على العالم كله.

ومن أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية الاصيلة لابد من مواجهة الغزو الشامل للعولمة، ويمكن اجمال أهم العوامل التي نستطيع من خلالها الحفاظ على هويتنا الثقافية بل وتعزيزها مقابل الثقافة الغازية، لنتمكن من استعادة دورنا الحضاري بين الأمم الأخرى ويكون لنا دور فاعل في اطار النظام الدولي وليس دور من فعل كما يراد لنا أن نكون بالآتي:

١- التركيز على دور العقيدة الإسلامية في بناء الشخصية الإنسانية في العالم الاسلامي، التي ستمكن الفرد المسلم من الحفاظ على شخصيته وعدم الذوبان والانصهار في القيم الحضارية الأخرى التي تتعارض مع المعتقدات الإسلامية التي تربى عليها الفرد المسلم تربية صحيحة، فبناء الإنسان المسلم ليكون في حجم التحدي، وتربيته على أخلاقيات عقدية تمنحه المناعة الحضارية المطلوبة ستمكنه من مواجهة الاختراق الثقافي الغربي.

٢- التخلص من كل الانظمة السياسية المستبدة التي تحاول تكبيل العقل في العالم الاسلامي، ولا تقدم اي حافز للشعوب للابداع والابتكار، وهذا أحد أسباب هجرة الادمغة إلى خارج العالم الاسلامي.

٣- إصلاح الأوضاع العامةإصلاحاً رشيداً شاملاً، في إطار المنهج الإسلامي القويم، وبالأسلوب الحكيم، ومن خلال الرؤية الشاملة إلى الواقع في جوانبه المتعدّدة، من أجل اكتساب المناعة ضد الضعف العام الذي يحدّ من حيوية الأمة ويشلّ حركتها الفاعلة والمؤثرة، فضلاً عن تسوية الخلافات بين دول العالم الاسلامي، والاحتكام إلى مبادئ الإسلام الخالدة لفضّ النزاعات، ولإقامة علاقات أخوية متينة، تحقيقاً للمصالح المشتركة، وجلباًللمنافع، ودراءاً للأخطار التي تهّدد الشعوب الإسلامية قاطبة.

٤- التركيز على دور اللغة العربية بعدها أهم وسائل تحقيق الوحدة والتماسك فضلاًعن الانسجام الاجتماعي، إذ تبقى الأمة محافظة على كيانها طالما حافظت على لغتها وثقافتها، وهنا تكمن الحكمة التي تتضمنها التشريعات الإسلامية التي جعلت للغة العربية دور بارز في حياة المسلم (عباداته، علاقاته في مجال الاجتماع والعقود والمعاملات)، فتراجع اللغة العربية أمام اللغات الاجنبية يفرض علينا ضرورة مضاعفة الجهود للنهوض باللغة العربية، وذلك يقتضي من ناحية حسن تعلمها داخل العالم الإسلامي وثانياً يقتضي محاولة اللحاق بركب التقدم العلمي والمشاركة فيما يتم من منجزات حضارية، وثالثاً سرعة تعريب المصطلحات العلمية الجديدة[٢٠].

٥- توعية الناس ثقافياً من خلال العمل على رفع المستوى الفكري لابناء الأمة المسلمة واشاعة قيم الإسلام الاصيلة، واثارة الوعي العام حول القضاي االراهنة، على أن تكون التوعية بدرجة تمكن الفرد المسلم من التمييز بين الثقافة الإسلامية الاصيلة والدخيلة وبينما هو حقيقة دينية سامية وخرافة مبتدعة، فالوعي الحي يمد الأمة بعوامل نجاح المشروع الإسلامي الذي يتبنى مقاومة الهجمات الثقافية التي يشنها الغرب على الحضارة والثقافة الاسلامية[٢١].

٦- تفعيل دور المراكز الإسلامية الكبرى في النجف والازهر من أجل القيام بدور بارز في هذا المجال.

٧- الحفاظ على الاسرة وقيمها الاسلامية، لأنه في رحاب الاسرة يتلقى الطفل العقيدة والقيم والمبادئ ويتعرف في ظلها على الهوية الدينية والوطنية.

٨- تعبئة المؤسسات التربوية والتعليمية من أجل تحقيق هذا الهدف، وهذا

يتطلب أن تولى هذه المؤسسات اهتماماً وعناية كبيرة من لدن القائمين على الدولة في العالم الاسلامي، إذ تحتاج هذه المؤسسات إلى تطوير مناهج وطرق واساليب التدريس التي يفترض أن تجمع بين تلقين المعارف وبين زرع القيم الاخلاقية والمبادئ السليمة والعقيدة الصحيحة ليكون لدينا جيل محصن ضد مشاريع الغزو الثقافي وتحديات العولمة، مع التركيز على التعليم النافع الذي يفيد الفرد والمجتمع، والذي يربي الأجيال على ثقافة العصر ويفتح أمامها آفاق المعرفة.

٩- ومن آليات النهوض بهذه الثقافة لكي تأخذ مكانها ضمن العولمة الثقافية الغربية، اعطاء هذه الثقافة القدرة على النمو الطبيعي عن طريق الإعتراف الحقيقي بدور العقل في إنماء الثقافة الإسلامية، ولابد من الإعتماد على العقل البشري والتجربة الإنسانية، وأن نستفيد من معطيات الجيل الجديد، فلا يمكن أن تبقى هذه الثقافة اسيرة عقدة انتاج الاسلاف، بل الارتكاز الى الارث في القراءة المتجددة من ناحية والابداع طبقا لحاجات الامة من ناحية ثانية، والتخلص من نظرية قدرة النموذج الماضوي من خلق العدالة، ويتم ذلك عبر مساهمة كل جيل في إغناء هذه الثقافة من خلال تجربته، وادراك مسؤوليته في مجال الثقافة(٢٢).

١٠- ضرورة تعزيز الاجتهاد والتجديد في الفقه لنتمكن من استيعاب المستجدات، فضلاً عن التجديد في الخطاب الديني الإسلامي واصلاحه بما يؤهله ليكون عاملاً مساعداً في مواجهة العولمة الثقافية، فالثقافة الإسلامية، قادرة على الصمود في ميدان التدافع الحضاري، لكنها تحتاج إلى من يوظفها التوظيف السليم، وأن يجعلها ثقافة تعيش العصر، وتحل مشكلاته وتتفاعل مع قضاياه، لا أن نذهب إلى الماضي ونعيش فيه

فهذا لا يضمن لنا السلامة الفكرية ولا السلامة الثقافية، فلابد من فتح أبواب الإجتهاد كلها، وتوظيف الإجتهاد ليناسب قضايا العصر ونوازله، فالمجتهدون والعلماء السابقين، أثروا الإجتهاد، وبنوا صروحه، ورسموا معالمه، ولكنهم كانوا يعالجون قضايا ونوازل وقتهم، ونحن نعيش اليوم في وقت تتكاثر فيه القضايا، وهي مختلفة كل الإختلاف عما كان يعيشه أسلافنا، لذلك لابد أن يكون الإجتهاد قادراً على التصدي لمثل هذه الأمور بمنطق وروح العصر[٢٣].

١١- إعادة الثقة للذات الإسلامية خاصة بعد الانهيار الذي اطاح بما تبقى من الإيمان بالقوة والقدرة على مواجهة التحديات.

١٢- إعادة النظر في المواد التي تقدم في وسائل الإعلام السمعية والمرئية وتقنينها بدقة وبذل الجهود لتطوير العاملين في هذا الحقل بالاسلوب الذي يضمن مراعاة ظروف المجتمع ومتطلباته، إذ يجب أن توظف أجهزة الإعلام، التوظيف السليم لنشر ثقافتنا الإسلامية وغرسها في نفوس الناس، فلابد أن يكون إعلامنا قادراً على أن يغير من أساليب حياتنا، ويربطها ربطاً محكماً بأصولنا الحضارية[٢٤].

١٣- الأخذ باسباب العلم والمعرفة، فعلى الرغم من كثرة الجامعات، إلاّ اننا لا نمتلك القدرة العلمية المبدعة، إذ لم تتأسس مراكز الابحاث الجادة لعدم توفير الاموال اللازمة ولم تتوفر للمبدعين مجالات الإنتاج والنمو.

١٤- الإعتماد على التقنيات العلمية المعاصرة في إنماء ثقافتنا، ولابد من تطوير هذه الإمكانيات عن طريق العلم والتكنولوجيا المعاصرة، فالثقافة التي لا تستفيد من معطيات عصرها تبقى ثقافة ضعيفة وغير قادرة على المواجهة، وربما بعد فترة تصبح في مرحلة الركود والتراجع، فلابد

لثقافتنا أن تستفيد من معطيات التطور العلمي والتكنولوجي والافادة من آليات العولمة الثقافية ذاتها لدحرها، فثورة المعلومات وسيلة يمكن من خلالها تثبيت الشخصية الإسلامية ونشر ثقافتها في ارجاء العالم(٢٥).

إن مستقبل الثقافة الإسلامية في ظل تحديات العولمة مرهون بقدرة هذه الثقافة ونخبها المفكرة والرموز العلمية التي تستطيع أن تجلي مكامن القوة وعناصر القوة الموجودة والكامنة في ثقافتنا، وهي موجودة وقوية وقادرة على المواجهة والتحاور، ومواجهة التحديات القائمة.

يتضح مما سبق أن مسألة الحفاظ على الهوية الثقافية الإسلامية وتعزيز الانتماء إليها وتوظيفها في مواجهة الغزو الثقافي لا يتم إلاّ من خلال تحشيد الطاقات وترسيخ القناعات لدى الحكومات والشعوب بمختلف مستوياتها بخطورة هذه الظاهرة وجديتها في القضاء على الهوية الثقافية الاسلامية، فضلاً عن أن المنهج المتبع في مواجهة الغزو الثقافي والعولمة الثقافية ينبغي أن يكون منهجاً متكاملاً وشاملاً يجمع بين البحث عن الازمة والمشكلة والخلل ومن ثم إيجاد الحلول التي تنطلق من الرؤية الشمولية للواقع الذي تعيشه الامة، فلا يمكن الفصل بين الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبين الاوضاع الثقافية والفكرية والاعلامية، لأنه لا سبيل إلى تقوية الذات بتحصين الهوية والثقافة العربية والحفاظ عليهما، فيظل أوضاع غير منسجمة مع طموح الأمة، وفي ظروف ليست مواتية من كافة النواحي.

الخاتمة:ـ

توصلت الدراسة الى مجموعة من الخلاصات والاستنتاجات ذات الأهمية في مشروع التحصين الفكري والقيمي والثقافي للهوية الاسلامية للامة منها:

١- ان الغـزو الثقـافي آليـة مـن آليـات الآخـر لتـوهين الامـة وفـك ارتباطهـا بخصوصـيتها الـتي تكـون مفـردات هويتهـا، وانـه سـبيل مـن سـبل خلـق التبعية في مجمل النواحي للمركزية الاوربية والامريكية، وانها غلفت في اطار الحداثة والتنمية وربما الاهتمام بمفردات حقوق الانسان وحرياته.

٢- ان الظروف السياسية للامة الاسلامية جعلت كفة التوازن تميل الى جهة الغرب في سنة التدافع للمحافظة على الخصوصية، وان محاولات اعادة التوازن تصطدم بمعوقات كبيرة منها الاعتمادية المطلقة على الغرب.

٣- ان الغزو الثقافي يهاجم البعد المكتسب من الهوية الخاصة بالامة، مما يعني امكانية الاختراق والتدافع في هذا المجال، بما تحمله الثقافة من صفة الابداع والتطور والتغيير في بعض مجالات القيم او اعادة القراءة لمساحة فهمها او مناطق وازمنة تطبيقها.

٤- ان الغز الثقافي اعتمد على حاجة الامة للتطور والتنمية، فهاجم مفاصل القوة بدلا من عوامل الفهم الخاطيء او المنهج في توليد الافكار والقيم.

٥- ان عمليـة مواجهـة الاخـتراق تـتم عـبر الدراسـة الواعيـة لواقـع الامـة ومقومات نهضتها واعتماد آلية التبادل الثقافي والحوار الحضاري اساسا للتواصـل مـع حركـةالعلم ومقوماتـه، ولـذا فـان المواجهـة تتطلـب رؤيـة علمية للمناهج المعرفية ومناهج الدراسة وآليات التثقيف والتواصل بين اجيال الامة.

٦- ان المواجهـة تتطلـب محاصـرة بعـض مـواد الاثـارة المعرفيـة المرسـلة عـبر قنوات التواصل المرئية وربما المقروءة، مع ضرورة التوازن بين الحرية وتلك المحاصرة والمراقبة بما يعـزز التماسـك الاسـري والمجتمعي، ويحفـظ نمط العلاقات القائمة بين انساق المجتمع المنتجة والمؤثرة في بناء الهوية الثقافية للأمة.

هوامش البحث

(١) مجموعة مؤلفين، المدخل الى الثقافة الاسلامية، ط٥، مدار الوطن، (د.م، د.ت)، ص٢٧ .

(٢) مركز نون للتأليف والترجمة، الغزو الثقافي والتبادل الثقافي، ط١، جمعية المعارف الاسلامية الثقافية، ٢٠٠٠، ص٢٣.

(٣) محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨، ص٣٢ .

(٤) الغزو الثقافي وخطره على المجتمعات الاسلامية خاصة والعربية عامة، على الموقع www.kalemasawaa.com/vb/t20024.html

(٥) ايمان عبد المؤمن سعد الدين، الثقافة الاسلامية والتحديات المعاصرة، ط١، مكتبة الرشد، ٢٠٠٣، ص١٦٦.

(٦) احمد عبد الرحيم السائح، مواجهة الغزو الفكري ضرورة اسلامية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، (د.ت)، ص٩.

❖ من هؤلاء المفكرين والباحثين محمد عمارة في كتابه الغزو الفكري وهم ام حقيقة، محمد جلال كشك في كتابه الغزو الفكري .

(٧) المصدر السابق، ص٩.

(٨) ميلاطصبرينة، الهوية العربية الاسلامية وتحديات العولمة، جامعة جيجل، الجزائر، على الموقع www.aranthropos.com.

(٩) امل فؤاد عبيد، واقع الثقافة العربية والاسلامية في ظل العولمة، على الموقع http://www.annabaa.org/nbanews/61/59.htm

(١٠) انظر مركز نون للتأليف والترجمة، مصدر سبق ذكره، ص٧٤.

(١١) عبد الله بن محمد المالكي، وهم المثاقفة، على الموقع http://www.dorar.net/art/257

(١٢) محمد حسين تبرائيان، الاستعمار واساليبه في الغزوالثقافي، على الموقع http://www.rohama.org/ar/content/686

(١٣) شاكر النابلسي، مظاهر وآليات الغزو الثقافي في الفكر العربي المعاصر، على الموقع http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=148626

(١٤) محمد حسين تبرائيان، مصدر سبق ذكره .

(١٥) محمد البنداوي الكعبي، الغزو الثقافي الى اين ؟، على الموقع http://almustashar-iq.net/index.php)

(١٦) مصطفى مهدي، التذكير بخطورة الغزو الفكري وآلياته، على الموقع http://www.alukah.net/Culture/0/42052/#ixzz2PTX5ejq4

(١٧) عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحفاظ على الهوية والثقافة الاسلامية في اطار الرؤية المتكاملة، ورقة مقدمة الى مؤتمر الاسلام والغرب في عالم متغير، مركز الدراسات الاستراتيجية، السودان، ديسمبر، ٢٠٠٣.

(١٨) قيس النوري، الشخصية العربية ومقارباتها الثقافية، ط٢، مطبعة مكتبة الطلبة الجامعية، اربد، الاردن، ٢٠٠٢، ص٢٣٢.

(١٩) شهيب عادل، الثقافة والهوية :اشكالية المفاهيم والعلاقة، جامعة جيجل، الجزائر، على الموقع WWW.aranthopos.com

(٢٠) صوفي حسن ابو طالب، اثر العولمة على الهوية الثقافية في العالم الاسلامي، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، المؤتمر الحادي عشر: نحو مشروع حضاري لنهضة العالم الاسلامي، القاهرة.

(٢١) مهدي الكبيسي، جرائم الاختراق الثقافي الغربي وسبل مواجهتها: قراءة في الصراع الفكري بين الاسلام والغرب، في كتاب آلام الامة الاسلامية وآمالها، مجموعة مختارة من المقالات والمحاضرات للمؤتمر الدولي الثالث عشر للوحدة الاسلامية، اعداد: سيد جلال الدين ميراقائي، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، طهران، ١٤٢٢هـ، ص ص٢٦٢-٢٦٣.

(٢٢) محمد فاروق النبهان، الثقافة الاسلامية والعولمة من الممانعة الى المواكبة، مجلة الكلمة، العدد ٢٣، السنة السادسة، ربيع ١٩٩٩، ص٤٥.

(٢٣) عبد العزيز بن عثمان التويجري، ما السبيل لنهوض الثقافة الاسلامية نحو العالمية، مجلة الكلمة، العدد ٢٣، السنة السادسة، ربيع ١٩٩٩، ص٥٦ .

(٢٤) المصدر السابق، ص٥٧.

(٢٥) سناء كاظم كاطع، الفكر الاسلامي المعاصر والعولمة، ط١، دار الغدير، (د.م)، ٢٠٠٥، ص٢٣٢.